منحة الرؤوف المعطي

ببيان

ضعف وقوف الشيخ الهبطي

* * *

لابي الفضل

عبد الله بن محمد بن الصديق

عفا الله عنه



ويليه

كتاب: الحجة المبينة

لصحة فهم عبارة المدونة

للمؤلف

دار الطباعة الحديثة
مؤسسة ثقافية
للطبع والنشر والتوزيع
51 ـ 53 زنقة فيردان
الدار البيضاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل كتابه هدى ورحمة ، وجعله شفاء ونعمة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد هادي الامة ، وكاشف الغمة ، ورضوان الله على آله ذوي الرتب السنية ، وشرف الهمة ٠

أما بعد فان الوقوف ، علم من علوم القرآن الكريم ، عني به الصحابة ، لتلقيهم اياه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، واعتنى به العلماء ، فكتبوا فيه المؤلفات الكثيرة، مثل كتاب الوقف والابتداء ، لابن الانباري ، وأبي جعفر النحاس ، والداني والزجاجي والعماني والسجاوندي والاشموني وغيرهم ٠

روى البيهقي عن ابن عمر ، قال : لقد عشنا برهة من دهرنا ، وان أحدنا ليؤتي الايمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم ، فنتعلم حلالها وحرامها ، وما ينبغي أن يوقف عنده منها ، كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم ، ولقد رأينا اليوم رجالا يؤتى احدهم القرآن قبل الايمان ، فيقرأ ما بين فاتحته الى خاتمته ، مايدري، أمره؟

لا زجره ، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه ؟ ورواه أبو
جعفر النحاس في كتاب الوقف باسناده ، وعلق عليه
قوله : فهذا الحديث يدل على أنهم كانو يتعلمون الاوقاف
كما يتعلمون القرآن ، وقول ابن عمر : لقد عشنا
برهة من دهرنا ، يدل على أن ذلك اجماع من الصحابة
ثابت .

وقال ابن الانباري : من تمام معرفة القرآن ، معرفة
الوقف والابتداء ، وقال النكزاوي : باب الوقف عظيم
القدر ، جليل الخطر ، لانه لا يتأتى لاحد معرفة
معاني القرآن ، ولا استنباط الادلة الشرعية منه . إلا
بمعرفة الفواصل .

وصرحوا بأنه لا يقوم بالوقف الا عالم بالنحو
القراآت والتفسير والقصص ، لكن الشيخ الهبطي
في عمل الوقف ، لم يقرأ هذه النصوص ، ولم يكن
يعرف علم العربية ولا شيئا مما اشترطوه لصحة الوقف.
بل أقدم على عملية الوقف بحسب ما ظهر له ، من
غير مراعاة للقواعد ، فكان كثير من وقوفه من قبيل الممنوع.
لانه يفصل بين المبتدأ والخبر ، وبين الفعل ومتعلقه
الفعل ونائبه ، والمفعول ، وحرف الجر ، وغير ذلك مما

نبينـه في هذه الرسالة بحـول الله تعالـى ٠

والعجـب العجـاب أن أهـل المغـرب ، استعملوا هـذه الوقوف منـذ وقـت صاحبهـا ومنشئهـا الى وقتنا هذا ، لـم يفكـر عالـم منهـم ، ولا باحـث أن يغيـر القبيـح منهـا بالصحيـح ٠

حتـى ظن كثير من الناس فيهـم مثقفون وأهـل علم : ان القرآن نزل بهـذه الوقوف ، بـل قيـل : ان الهبطـي رأى وقوفـه في اللوح المحفوظ ، ومنه أخـذها !!!

ولم يكن سكوت المغاربـة على هـذه الوقوف ، جهـلا بما فيهـا من فساد ، حسبما أعتقد ، ولكن كان سكـوتهـم اهمالا واستهانـة ، لظنهـم أن هـذا موضـوع هيـن ، مـع غلبـة التقليـد عليهـم ، وركونهـم الى ما ورثـوه عمـن مضى خطـأ كـان أو صوابـا ، قبيحـا أو حسنـا ، ولهـم قاعـدة يسوغـون بهـا جمودهـم على التقليد ، وهي قولهـم : خطـأ مشهـور خيـر مـن صـواب مهجـور ٠

وهـذه الكلمـة لا أصل لها في الديـن ولا في العلـم ، بـل عمـا يقدمان الصواب مطلقـا ، ومـن أظهـر صوابـا مهجورا كان له ثـواب اظهاره ، والعمـل به ٠

ولما كانـت وقوف الهبطـي ، بالصفة التي ذكرتهـا من

المنكر الذي يجب تغييره ، لانها تلحق بكلام الله خطأ يتنزه عنه ، وكان السكوت عن تغييرها ، اثما يعم أهل العلم جميعا بالمغرب .

أردت أن أقوم بهذا الواجب عن نفسي وعنهم ، بتأليف هذه الرسالة التي أبين فيها بحول الله ، الوقوف القبيحة. وأنا أعلم أن أفرادا من العامة واشباههم ، ستأخذهم الحمية للهبطي ، على حساب كلام الله تعالى ، فيرفعون عقيرتهم بذم عملي هذا ، غير مدركين ما فيه من تنزيه القرآن عن الخطأ واللحن ، بل قد يتجرأ بعضهم فيحاول تصحيحها بتقديرات متعسفة ، لم تخف علي .

وأقول لهؤلاء : قد نص العلماء على أنه لا يجوز تخريج شيء من الآيات ، على تقديرات ضعيفة ، لان ذلك يؤدي الى أن يكون في القرآن ما ليس بفصيح ، وهذا خطير جدا ، لان القرآن ليس فيه الا الفصيح والافصح .

ولا أنبه على جميع الوقوف المخطئة ، وانما أنبه على ما كان قبحه ظاهرا لا يخفى على متعلم ، ثم استدركت بأن الشيخ المهدي الفاسي ألف رسالة في بيان وقوف الهبطي الضعيفة ، وغير الصحيحة .

سورة البقرة

الآية الاولى :

« ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا »

الوقف الصحيح على أشركوا . كما في مصحف حفص .

والآية واردة في اليهود ، قال الزمخشري :

وفيها توبيخ عظيم ، لان الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة ، ولا يعرفون الا الحياة الدنيا ، فحرصهم عليها لا يستبعد ، لانها جنتهم ، فاذا زاد عليهم في الحرص ، من له كتاب ، وهو مقر بالجزاء ، كان حقيقا بأعظم التوبيخ اهـ ، ووقف الهبطي على لفظ حياة ، وهو خطأ لم يختص به ، فقد قال بعض المفسرين : المراد بالذين أشركوا المجوس ، كانوا يقولون لملوكهم : عش ألف نيروز ، وألف مهرجان ، وضعفه ابن جزي ، قال في تفسيره : (**ومن الذين أشركوا**) فيه وجهان : أحدهما أن يكون معطوفا على ما قبله فيوصل به ، والمعنى أن اليهود أحرص على الحياة من الناس ومن الذين أشركوا ، فحمل على المعنى ، كأنه قال : أحرص من الناس ومن الذين أشركوا وخص الذين أشركوا بالذكر بعد دخولهم في عموم الناس،

نهم لا يؤمنون بالآخرة لا بافراط حبهم للحياة الدنيا ،
الآخر : أن يكون من الذين أشركوا ابتداء كلام ، فيوقف
على ما قبله ،والمعنى : من الذين أشركوا قوم (**يود**
أحدهم لو يعمر ألف سنة) فحذف الموصوف ، وقيل
يراد به المجوس ، لانهم يقولون لملوكهم عش ألف سنه،
الاول اظهر . لان الكلام انما هو في اليهود ، وعلى الثاني
خرج الكلام عنهم أهـ .

وقال الامام الرازي في تفسيره ـ بعد حكاية القولين:
القول الاول أولى (1) ، لانه اذا كانت القصة في شأن
اليهود خاصة ، فالاليق بالظاهر أن يكون المراد : ولتجدن
اليهود أحرص على الحياة من سائر الناس ومن الذين
أشركوا ليكون ذلك أبلغ في ابطال دعواهم ، وفي اظهار
كذبهم في قولهم : **(ان الدار الآخرة لنا لا لغيرنا اهـ)**
اختار هذا القول أيضا ابن جرير الطبري ، وهو المتعين
الذي لا يجوز غيره في الآية ، لوجهين :

---

(1) لفظ أولى يستعمل في مثل هذا الموضع بمعنى
اجب . كقولهم : الجمع بين الدليلين اذا أمكن ، أولى .
اذا احتمل الكلام التأكيد والتأسيس ، فالاخير أولى ، وهكذا .

الاول : أنه موافق لسياق الآيات السابقة واللاحقة ، ومراعاة السياق واجبة ، غفل عنها كثير من المفسرين ، فوقعوا بسبب ذلك في أغلاط نبهت على بعضها في قصة داود عليه السلام ، وهذا الموضع منها وان لم أنبه عليه هناك ، فأي ارتباط بين تعجيز اليهود وتكذيبهم في دعواهم ، وبين قول المجوس لملوكهم : عش ألف سنة ؟!

الثاني : أن حمل (**ومن الذين أشركوا**) على الابتداء يحتاج الى تقدير موصوف محذوف ، وهو : قوم أو أناس والاصل عدم التقدير ، ولا ضرورة تدعو اليه في هذا الموضع ٠

الثالث : أن حمل ذلك الجملة على الابتداء يوقع في الكلام اضطرابا ، وعدم تناسب ، اذ بينما سياق الكلام على اليهود ، ينتقل فجأة الى المشركين ، ثم يعود الى اليهود أيضا ، وكلام الله تعالى ، يمشي في تناسق وانتظام فهو منزه عن هذا الاضطراب ٠

ثم رجعت الى تفسير الجلالين وهو يعتمد القول الصحيح في الآية ، فوجدته يقول (**ولتجدنهم**) لام قسم (**أحرص الناس على حياة**) وأحرص (**من الذين أشركو ا**) المنكرين للبعث ، عليها لعلمهم بأن مصيرهم

النار ، دون المشركين وانكارهم لـه أم ·

وجملـة (**يـود أحـدهـم**) مستـأنفـة ، لبيان حـرص اليهـود علـى الحـيـاة ·

الآيـة الثانية : (**كتب عليكم اذا حضر أحـدكم المـوت ان تـرك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعـروف حقـا على المتقيـن**) الوقـف على بالمعـروف ، أو المتقين ·

ووقـف الهبطـي على خيـرا ، ففصـل بين الفعـل وهـو كتـب المبنى للمجهول ، ونائـب الفاعـل ، وهـو الوصيـة وتصحيحـه يحتـاج الى تقدير ، فيه تكلـف ، وخـروج عن الظاهـر ، لغيـر ضرورة ولا حـاجـة ·

الآيـة الثالثـة : (**هـل ينظرون الا أن يأتيهـم الله فـي ظلـل من الغمـام والملائكـة وقضى الامـر**) ، الوقـف على الامـر كما فـي مصحف حفـص ، ووقف الهبطـي على الغمـام ففصل بين الفاعـل والمعطوف عليه ، بـلا داع ولا مـوجـب ·

الآيـة الرابعـة : (**ولا تجعلـوا الله عرضة لايمانكم أن تبـروا وتتقوا وتصلحـوا بين الناس**) ، الوقف على النـاس كما في مصحف حفـص وقالون ، ووقـف الهبطي على أيمانكم، ففصل بين النهـي والمنهـى عنه ، ويمكن تخريجه على وجوه ضعيفـة ، يتنـزه عنهـا كـلام اللـه تعـالـى ·

الآيــة الخامســة : (**ولا يــأب كاتــب أن يكتــب كمــا علمــه اللــــه**) الوقــف على اســم الجلالــة ، كما في مصحف حفــص وقالون ، ووقــف الهبطــي على يكتــب ، وتخريجــه بجعــل الكاف في كما ، متعلقــة بقولــه فليكتــب ، تلــق كما قال أبو حيــان ، لاجــل الفاء ، قال : ولاجــل أنــه لو كــان متعلقــا بقولــه : فليكتــب ، لكــان النظــم : فليكتــب كمــا علمــه الله ، ولا يحتــاج الى تقــديم ما هــو متأخــر فــي المعنــــى أهـ .

سورة آل عـمـــران

الآيــة الاولــى (**هــو الذي أنــزل عليــك الكتــاب منــه آيــات محكمــات هــن أم الكتــاب وأخــر متشــابهــات**) الوقــف على متشابهــات ، كما في مصحــف حفــص وقالون وكلمــة منــه خبــر مقــدم ، وآيات محكمــات مبتــدأ مؤخــر ، ولكن الهبطــي وقــف على لفــظ منه ، فــدل على أنه لا يعرف النحــو ، لانــه فصل بين المبتــدأ والخبــر ، وصيــر المبتدأ بــلا خــبــــر .

الآيــة الثانيــة (**كــدأب آل فرعــون والذين من قبلهــم**) الوقــف على قبلهــم كما فــي مصــحــف حفــص ، ووقــف الهبطــي علــى فرعــون ، ففصل بين المعطــوف والمعطــوف

عليه من غير داع ، وأوهم أن (**كذبو بآياتنا**) بيان لدأب الذين قبل آل فرعون فقط ، وهو ايهام قبيح ٠

ومثله في الفصل بين المتعاطفين بلا ضرورة ، قول الله تعالى (**واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون**) وقف الهبطي على الكتاب ، ولا قائل به ٠

الآية الثالثة : (**وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم**) الوقف على بينهم كما في مصحف حفص وتالون ، ووقف الهبطي على العلم ففصل بين جزئي الجملة بدون سبب ، لان بغيا مفعول له والعامل فيه اختلف ، فالفصل بينهما فصل بين الفعل ومفعوله ، وهو غير جائز ٠

سورة النساء

الآية الاولى : (**ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون**) الوقف على الاقربون كما في مصحف حفص وتالون ، لان الوالدان فاعل ترك ، والاقربون معطوف عليه ، ووقف الهبطي على ترك ، ففصل بين الفعل وفاعله، وقد وجه وقفه بتقديرات لا داعي لها ، ويكفي في ردها ان الاصل عدم التقدير ٠

الآيـة الثانيـة : **(الا الذين يصلـون الى قـوم بينكـم وبينهم ميثاق أو جاؤوكم حصرت صـدورهم أن يقـاتلوكـم أو يقاتلوا قـومهـم)** الوقـف علـى قومهـم ، كما في مصحف حفص وقـالـون ٠

وجملـة حصرت ، حـال فهـو تتمـة للجملـة ومحـل فائـدتهـا ، ووقف الهبطـي على جاؤوكم ، ففـرق بين جزئي الجملـة ، وضيـع فائـدتها المقصودة ٠

الآيـة الثالثـة : **(وما كان لمؤمـن أن يقتـل مـؤمنـا الا خـطـأ)** الوقـف عـلـى خـطـأ كـما فـي مصحـف حفـص وقـالون ، وزاد الهبـطـي الوقـف عـلـى مـؤمـنـا ففصل بين المستثنـى والمستثنـى منـه بـدون داع ٠

الآيـة الرابعـة : **(انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمتـه ألقاهـا الى مريـم وروح منـه)** الوقـف علـى منـه ، كما في مصحف حفـص وقالون ، وجملـة ألقاها حال، ووقـف الهبطـي على كلمتـه ، ففصل بين الحال وصاحبهـا،

ســورة المـائــدة

الآيـة الاولـى : **(فأصبح من النادمين ،من أجـل ذلـك كتبنـا على بني اسرائيل)** ، الوقـف على النادمين كمـا فـي مصحـف حفـص وقالون ، وهو وقـف لازم ، لانتهاء الآيـة ٠

ثم يستأنف الكلام بقوله تعالى : **(من أجل ذلك كتبنا)** ومن أجل جار ومجرور ، متعلق بكتبنا ، وهو علة له .

والمعنى : من أجل قتل أحد ابني آدم لاخيه ظلما ، كتبنا على بني اسرائيل تغليظ الاثم في القتل العمد العدوان . وهذا المعنى واضح موافق للسياق ، ولكن الهبطي وقف على ذلك ،فنصل بين الفعل ومتعلقه ، وقطع العلة عن معلولها ، وصارت جملة كتبنا على بني اسرائيل ، منقطعة عما قبلها ، لا رابط بينهما ، وهذا افساد لمعنى الآية ، سامحه الله .

الآية الثانية : **(أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة)** الوقف على وللسيارة ، كما في مصحف حفص وقالون ، ومتاعا مفعول له ، متعلق بأحل ، ووقف الهبطي على وطعامه ، ففصل بين الفعل ومفعوله بدون سبب .

الآية الثالثة : **(فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا)** الوقف على اعتدينا ووقف الهبطي على فيقسمان ، ففصل بين الفعل ومتعلقه ، بدون دليل .

والعجيب أن الآية التي قبل هذه ، وهي : **(فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا)** لم يقف على فيقسمان بل وقف على قربى ، مع أن الفعل في الجملتين واحد ، وله مثل هذا من التفريق بين المتماثلين ، و سننبه عليه في مواضعه بحول الله تعالى .

الآية الرابعة : **(قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم)** الوقف على بينكم ، وزاد الهبطي فوقف على اسم الجلالة ، وفصل بين المبتدأ والخبر ، ويصح هذا الوقف على وجه مرجوح ، بأن يقدر اسم الجلالة مبتدأ محذوف الخبر ، تقديره الله أكبر شهادة، ثم يضمر مبتدأ يكون شهيد خبرا له ، تقديره : وهو شهيد بيني وبينكم قال أبو حيان : ولا يتعين حمله على هذا ، بل مرجوح ، لكونه أضمر فيه آخرا وأولا ، والوجه الذي قبله يعني كونه مبتدأ وخبرا ، لا اضمار فيه ، مع صحة معناه ، فوجب حمل القرآن على الراجح ، لا على المرجوح أهـ .

سورة الانفال

الآية الاولى : **(كدأب آل فرعون والذين من قبلهم**

كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم) الوقف على آخر الآية ، ووقف الهبطي على فرعون ، وفيه ما سبق في نظيره ، في آل عمران ، وفي مصحف حفص ، وضع على كلمة فرعون ، لا ، إشارة الى أن الوقف عليها غير جائز .

الآية الثانية : **(كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم)** وقف الهبطي ايضا على فرعون ، وفيه ما سبق ، فان هذا وقف ممنوع .

سورة التوبة

المصحف المطبوع بالمغرب ، يجعل فيه بياض، قبل كلمة براءة ، اشارة الى البسملة ، وهذا شيء لا معنى له بل لا يجوز ، وذلك لوجهين : **الاول** : أن أهل المغرب لا يقرؤن البسملة في السور كلها ، لا في الصلاة، ولا خارجها ، فلماذا يتركون لها بياضا في هذا الموضع؟!

والآخر : أن سورة التوبة لم تنزل فيها البسملة أصلا ، فكيف يضعون بياضا لامر لم يكن ؟ !

ووجه ثالث : وهو أن ذلك البياض يوحي لمن

لم يعرف : أن شيئا من القرآن حذف ، لاسيما حين يجد مصاحف المشرق خالية من ذلك البياض ٠

سورة يونس

الآية الاولى : (**انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض**) الآية وقف الهبطي على فاختلط ، وهو وقف ممنوع ، لانه فصل بين الفعل ومتعلقه ، ولا أحد يجيزه ٠

ومن العجيب جدا أن آية نظير هذه جاءت في سورة الكهف ، وهي قوله تعالى : **واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض**) الآية لم يقف هنا على فاختلط ، مع أن السياق فيها واحد وهذا يدل على أن الهبطي لم يكن يرجع في موقوفه الى قاعدة من علم العربية ، أو القراءات ، أو التفسير ٠

سورة يوسف

قوله تعالى : (**قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف**) كثير من أهل المغرب يقرؤن (**تأمنا**) بالفك وضم النون ، وهو خطأ ، والصواب قراءته بالادغام ٠

قولــه تعالــى : (**قال لا تثريــب عليكــم اليــوم يغفــر الله لكــم**) الوقــف على اليوم ، وجملــة يغفــر الله لكم دعاء لهم بالمغفــرة ، وهكذا ثبــت فــي الحــديــث ، فقــد جاء فــي كتــب السيــرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقف على قــريش ، وهــم أسرى ، يوم الفتــح ، فقــال : « **ما تظنون أني فاعــل بكــم ؟** » قالــوا : خيــرا أخ كــريــم ابــن أخ كريــم ، فقال صلى الله عليه وسلــم « **أقــول : كما قال أخــي يوسف : لا تثريــب عليكم اليوم ، اذهبــوا فأنتم الطلقــاء** » ولا أدري لــم وقــف الهبطــي على عليكم ؟ وخالف جمهــور القــراء ، وخالــف الحــديــث ، وغيــر معنــى الآيــة من الــدعــاء الى الخبــــر ؟ ٠

ســورة الــكــهــف

قولــه تعالــى : (**لكنا هــو الله ربــي**) كثير من أهــل المغــرب يقرؤن (لكنــا) بمــد النون ، والصواب تــرك المد٠

قولــه تعالــى : (**فاتخــذ سبيلــه في البحــر سربــا**) وقــف الهبطــي على سربا ، فوافــق الجمهــور ٠

في **قولــه تعالى : (واتخــذ سبيلــه فــي البحــر عجبــا)** وقف على البحــر ، قال ابــن جزى فــي تفسيره : يحتمــل أن يكون هــذا من كلام يوشع أي اتخــذ الحــوت سبيلــه فــي

البحر عجبا للناس ، أو اتخذ موسى سبيل الحوت عجبا أي تعجب هو منه ، وأعرب عجبا مفعول ثاني لاتخذ ، مثل سربا وقيل : ان الكلام تم عند قوله في البحر ، ثم ابتدأ التعجب فقال : عجبا ، وذلك بعيد أهـ .

ويأتي السؤال الماضي : لم اختار الهبطي الاحتمال البعيد ؟

سورة الانبياء

قوله تعالى : **(ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة)**
الوقف على نافلة ، ووقف الهبطي على أسحق .
قال ابن جزي : واختار بعضهم الوقف على اسحق، لبيان المعنى ، وهذا ضعيف ، لانه معطوف على كل قول أهـ .

فلم اختار الهبطي هذا القول الضعيف ؟ !

قوله تعالى : **(ذلك ومن يعظم حرمات الله)** قال ابن جزي : ذلك ، هنا وفي الموضع الثاني مرفوع على تقدير الامر ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه ، ثم يقول : هذا وقد كان كذا وكذاوأجاز بعضهم الوقف على قوله ذلك ، في ثلاثة مواضع من هذه السورة ، وهي

ـذا وذلـك ومن يعظـم شعائــر الله ، وذلـك ومـن يشـرك
الله ، لانها جملـة مستقلـة ، أو هـو خبـر ابتـداء مضمر،
الاحسـن وصلهـا عنـد شيخنـا أبـي جعفـر ابن الزبيـر ،
لان مـا بعـدها ليس كلاما أجنبيـا ومثلهـا : ذلـك ومـن
عاقـب وذلكـم فـذوقـوه في الانفـال ، وهـذا وان للطاغيـن
ي «ص» أهـ فوقـف الهبطـي هنـا جـائـز ·

ســورة الفـرقــان

قولـه تعالـى : (**انظـر كيـف ضـربوا لـك الامثـال ضلـوا فـلا يستطيعـون سبيـلا**) وقـف الهبـطـي هنـا
على سبيلا وفي سورة الاسراء ، وقعـت هـذه **الآيـة أيضـا** ،
وقـف الهبطـي على نضلـوا ، ولا أدري لـم فـرق بينهمـا
مـع أن سياقهـما واحـد ؟

وهـذا يـدل علـى أنـه لا يرجـع الى قاعـدة ، وانمـا
رجـع الـى ما يظهـر لـه ·

ســـورة سـبـــأ

قولـه تعالـى : (**اعملـوا آل داود شكـرا**) قـال ابـن
جـزى : حكـايـة ما قيـل لآل داود ، وانتصـب شـكـرا
على أنـه مفعـول لاجلـه ، و مصـدر من المعنـى ، لان العمل
شكر ، تقـديره ، اشكـروا شكرا ، أو مصـدر في موضـع

الحال : تقديره : شاكرين ، أو مفعول به أهـ .

فالوقف على شكرا ، كما في مصحف حفص وقالون، وزاد الهبطي فوقف على داود ، وفصل بين الفعل ومعموله ، بلا سبب .

سورة يس

قوله تعالى (**ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم**) الوقف على يدعون ، وهو وقف تام .

ووقف الهبطي على سلام ، وهو خطأ ، لان الكلام تم عند يدعون ، وسلام مبتدأ كما قال ابن جزى خبره محذوف ، تقديره : عليكم ، أو خبره الفعل الناصب لقولا ، تقديره : سلام يقال لهم قولا من رب رحيم .

واعراب سلام صفة لما يدعون ، أو بدل منه ، أو خبر عنه ، لا يسلم من اعتراضات ،

ولا أدري لم يعدل الهبطي عن الوقف التام الواضح، الى وقف يحتاج تصحيحه الى تقدير وتكلف ؟

قوله تعالى (**(انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون**) تقدمت عبارة (**كن فيكون**) في عدة سور ، ويقف الهبطي في كل واحدة منها على كن ، وهو خطأ ، لايوجد في مصحف حفص وقالون ولا غيرهما

نه يغيير معنى الاية ، اذ مقصودها : سرعة تنفيذ الامر تكويني ، بدون مهلة « والوقف على كن يضيع هذا مقصود ٠

يضاف الى ذلك : أن لفظ كن ، ليس مقصودا لذاته ، بل لما يترتب عليه ، فالوقف عليه خطأ لامحالة ٠

سورة الصافات

قوله تعالى (**ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب**) الوقف على دحورا أو واصب ٠

قال ابن جزى : (دحورا) أي طردا وابعادا واهانة، من الدحر الدفع بعنف ، واعرابه مفعول من أجله ، أو مصدر من يقذفون على المعنى ، أو مصدر في موضع حال تقديره : مدحورين أهـ

وزاد الهبطي وقفا على جانب ، وفصل بين الفعل معموله بدون سبب ٠

سورة فصلت

قوله تعالى (**وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص**) قال ابن جزى : (وظنوا ما لهم من محيص الظن هنا بمعنى اليقين ، والمحيص المهرب ، أي علموا انهم لا مهرب لهم من العذاب ، وقيل:

يوقف على ظنوا ، ويكون ما لهم استئنافا ، وذلك ضعيف أهـ ٠

والهبطي اختار هذا الوقف الضعيف ، ولا أدري لم اختاره ؟

سورة الدخان

قوله تعالى (**أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم**) قال ابن جزى (والذين من قبلهم) عطف على قوم تبع ، وقيل : هو مبتدأ ، فيوقف على ما قبله، والاول أصح أهـ، ووقف الهبطي على تبع ، كما وقف على (**كدأب آل فرعون**) وفيه فصل بين المتعاطفين ، بدون موجب ٠

سورة الجاثية

قوله تعالى (**فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم**) الوقف على بينهم ، كما في مصحف حفص وقالون ، لان بغيا مفعول من أجله ، والعامل فيه اختلفوا ٠

والهبطي وقف على العلم ، وفصل بين الفعل ومعموله، بدون دليل ٠

سورة الاحقاف

قوله تعالى (**فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم**) الوقف على لهم ، وهو وقف واضح يدركه من قرأ المقدمة الاجرومية ·

ولكن الهبطي وقف على تستعجل ، وهو ممنوع باتفاق كما سبق في سورة يونس ، حين وقف على ختلط ·

سورة الذاريات

قوله تعالى (**كانوا قليلا من الليل ما يهجعون**) الوقف على يهجعون ، ووقف الهبطي على قليلا ، وهو وقف باطل ممنوع ، ولست أدري ما الذي دعاه اليه ؟

سورة المعارج

قوله تعالى : (**سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**) ، ينبغي أن يكون الوقف على اليه ، لئلا يتوهم أن في **يوم متعلق بتعرج** مع أنه صفة لعذاب أي بعذاب واقع للكافرين في يوم كان مقداره ، **الآية** ·

سورة النبأ

قوله تعالى (**عم يتساءلون**) قال ابن جزى : أصل عم ، عن ما ، أدغمت النون في الميم ، وحذفت ألف ما، لانها استفهامية ، تقديرها : عن أي شيء يتساءلون ؟ ويتعلق عن النبأ ، بفعل محذوف يفسره الظاهر ، تقديره : يتساءلون عن النبأ ، ووقعت هذه الجملة جوابا عن الاستفهام ، وبيانا للمسئول عنه ، كأنه لما قال : عم يتساءلون ؟ أجاب فقال : يتساءلون عن النبأ العظيم ، وقيل : يتعلق عن النبأ ، بيتساءلون الظاهر ، والمعنى على هذا : لاي شيء يتساءلون عن النبأ العظيم؟ والاول أفصح وأبرع ، وينبغي على ذلك ، أن يوقف على قوله : عم يتساءلون ه ، وهكذا هو في مصحف قالون، أما الهبطي ، فوقف على عم ،وهو وقف غير جائز ، ولم يقل به أحد من القراء ٠

سورة البروج

قوله تعالى (**ذو العرش المجيد**) الوقف على المجيد لانه آخر الاية ، وهو صفة الله أيضا ، ووقف الهبطي على العرش ، وهو وقف غير تام ، فلا يجوز ٠

سورة المسد

قوله تعالى (**سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب**) الوقف على لهب ، وامرأته حمالة الحطب مبتدأ وخبر ، ووقف الهبطي على : وامرأته ، فيحتاج الى تقدير حذف مبتدأ ، يكون حمالة خبرا عنه ، والتقدير : وهي حمالة الحطب ولكن الاصل عدم التقدير ، والله تعالى أعلم ·

خاتمة

تشتمل على مسائل :

الاولى

اقتصرت في هذا الجزء على الوقوف الواضح خطأها والتي يحتاج تصحيحها الى تكلف في التقدير ، أو تعسف في التأويل ، يجب تنزيه كلام الله عنه ·

وتركت وقوفا كثيرة ، هي خطأ أيضا ، لكن يمكن تصحيحها بضرب من التقدير المقبول ·

والمقرر عند العلماء : أنه لا يجوز تخريج شيء من الآيات القرآنية ، على قول ضعيف ، أو اعراب مرجوح ، أو تأويل متكلف ·

لان ذلـك يؤدي الى أن يكون في القرآن ما ليس بفصيح، وهـو غيـر جـائـز ٠

اذ القرآن ، فيه الفصيـح والافصح فقـط . كمـا هـو منصـوص عليـه في علـوم القـرآن ٠

الثـانيـة

لا أرى وجهـا للمتسـك بوقوف الشيـخ الهبطـي مـع ما فيهـا من انتقـاد واعتـراض ، بـل يجـب انشاء وقوف أخـرى صحيحـة ٠

والطـريق الـى ذلـك شيئـان :

أحـدهـمـا

أن يقوم شخـص أو أكثـر ، بمراجعة المصحـف الشريف على بعـض التفاسيـر ، مثـل تفسير أبي حيان وابن جـزى وابن عطيـة ، ويعمـل الوقوف على حسب ما يشيـرون اليه٠

ثـانيهمـا

أن نتتبـع الوقوف الموجودة في مصحـف مصرفانهـا وقوف محـررة على ما في كتب التفسيـر ،ليس فيهـا وقف ضعيـف فضلا عن ممنـوع ويطبـع عليهـا مصحـف ورش عنـدنا ، والوقوف لا تختلـف باختـلاف القراءات ،فان قـراء مصـر ، مثـل الشيـخ صديق المنشـاوي والشيـخ الحصري

والشيخ مصطفى اسماعيل يقرأون قراءة ورش بالوقوف الموجودة في مصاحفهم ، وهي وقوف سليمة ، في غاية الصحة ، ولا يعرفون وقوف الشيخ الهبطي ، ولا سمعوا به ، ولم تغير وقوفهم شيئا من قراءة ورش ، فلو عملنا بها في مصاحفنا ، تخلصنا من وقوف أقل ما يقال فيها : انها تحتاج الى تصحيح وتصويب .

الثالثة

في التعريف بالشيخ الهبطي رحمه الله تعالى :

قال العلامة سيدي محمد بن جعفر الكتاني ، في سلوة الانفاس : ومنهم الشيخ الامام ، العالم العلامة الهمام الفقيه الاستاذ المقرء الكبير ، النحوي الفرضي الشهير، الولي الصالح ، والعلم الواضح ، أبو عبد الله سيدي محمد بن أبي جمعة الهبطي ، منسوب لبلاد الهبط ، الصماتي الفاسي ، صاحب تقييد وقف القرآن ، ترجمه في الجدوة فقال : محمد بن أبي جمعة الهبطي الصماتي الاستاذ صاحب وقف القرآن العزيز ، توفي بمدينة فاس، سنة ثلاثين وتسعمائة اه .

وقد كان رضي الله عنه عالم فاس في وقته فقيها نحويا فرضيا استاذا مقرئا عارفا بالقراءات ، مرجوعا

اليه فيها ، وكان موصوفا بالخير والفلاح ، والبركة والصلاح ذا أحوال عجيبة ، وأسرار غريبة ، أخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن غازي وغيره ، وأخذ عنه الاستاذ أبو عبد الله محمد بن علي بن عدة الاندلسي وجماعة ، واستقر عمل قراء فاس ومراكش وما والاهما من جميع هذا المغرب الاقصى من زمانه الى زماننا هذا ، على اعتماد ما قيد عنه من وقف القرآن العزيز ، وقد قيد عنه ما قيد من ذلك باعتبار قول من أخذ من شيوخ المقرئين في الوقف والابتداء ، بمراعاة الاعراب والمعنى، وان كان قد وقع له في مواضع من ذلك ما وقع مما لا يخلو عنه البشر ، من مواقع ضعيفة ، وأخرى بعدم الصحة موصوفة ، لكن تلقاه قراء المغرب بالقبول ، وعملوا عليه في التعلم والتعليم .

وقد وضع العلامة الصوفي البركة أبو عبد الله سيدي محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي شارح دلائل الخيرات ، موضوعا بين فيه أحكام تلك المواضع سماه « الدرة الغراء في وقف القراء » وكذلك الشيخ الاستاذ أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي ، ألف في ذلك تأليفا مستقلا ، قال فيه ما نصه : وقد سمعت

من شخينا العلامة أبي زيد مولاي عبد الرحمن بن ادريس المنجرة الشريف ما حاصله : أن العلامة أبا عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني ، ورد على محروسة فاس ، فاجتمع مع الهبطي فراجعه في بعض الاوقاف المقيدة عنه ، على جهة افسادها وكان الهبطي من أصحاب الاحوال ، فأخذته الحال ، فقال للسنوسي :

انظر الى اللوح المحفوظ ، فانها موجودة فيه ، فنظر السنوسي الى اللوح ، وكشف له عنها ، فرآها فيه كما هي متيدة عن الهبطي ، فلم يسعه الا التسليم ، ثم عمل على قراءة ختمة بمقتضاها على الشيخ الهبطي ، وكان ذلك سبب اقبال الناس على ما قيد عنه ٠

هذا حاصل الحكاية ، وان كنت لم أضبطها عنه كل الضبط ، لطول الزمن ، وتناسيها من البال ، وبعد ففي النفس منها شيء ، وذلك أن السنوسي توفى خمس وتسعين وثمانمائة ، وقيل على رأس تسعمائة ، والهبطي الذي قيد عنه ما قيد ، توفى سنة ثلاثين وتسعمائة ، فيبعد أن يكون السنوسي تلميذه ، وان كان كثير من الشيوخ تتأخر وفاتهم عن وفاة تلامذتهم بأزمان ٠

وفي نشر المثاني : محمد بن أبي جمعة الهبطي

الصماتي بالصاد والميم والتاء ، بخط من يعتمد وصحح عليه .

وتوفي بمدينة فاس سنة ثلاثين وتسعمائة قاله في الجذوة وهو ممن أخذ عن الامام ابن غازي وعنه قيد الوقف أهـ ، والحكاية السابقة ، ذكرها أيضا الاستاذ أبو العلاء سيدي ادريس ابن محمد المنجرة ، لكن بسياق آخر ، فانه قال : وجل أهل المغرب انما يعتنون بما قيد عن الشيخ الامام محمد بن أبي جمعة الهبطي ، عصري الامام العالم العامل سيدي محمد بن يوسف السنوسي الحسني ، وصاحب حكايته ، وهي ان الامام السنوسي ، كان دأبه ، ما التقى بأحد اختص بفن له فيه باع أوفر منه ، الا وقرأ عليه ، وأخذ عنه ذلك الفن ، ولما التقى بالشيخ الهبطي ، وسأل منه أن يقرأ عليه القرآن بوقف ما اصطلح عليه من الوقف ، فأجابه الى ذلك ، وقرأ عليه حتى بلغ قوله تعالى :

(قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون) فوقف السنوسي على : لكم ، فأبي الشيخ الهبطي الوقف عليها ، ثم عاد السنوسي ولم يأب الا الوقف ، فمنعه الهبطي ، فاذا بالسنوسي رفع رأسه ، شاخصا بصره

الى السماء ، فغاب عن حسه قليلا ، ثم رجع لحاله، ثم قال : والله لهكذا هي في اللوح المحفوظ ، يعني الوقف بها وفق ما ذهب اليه الهبطي وادعاه رضي الله عنهما ، وناهيك بها منقبة لهما أهـ ما في السلوة ٠

وأقول : لا شك عندي في صلاح الشيخ الهبطي وفضله رحمه الله ، لكن لي ملاحظات على ما ذكر في ترجمته ٠

منها : أنه حصل الاعتراف بأن وقوفه فيها الضعيف وفيها غير الصحيح ،

فيجب شرعا تغيير تلك الوقوف ، وتركها لئلا يتلى كتاب الله تعالى ، بوقوف فاسدة ٠

وجريان العمل بها ، لاينتهض عذرا في ترك هذا الواجب ، لان العمل ليس باجماع ، والاثم حاصل بترك تغييرها ٠

ومنها : دعوى أن الهبطي قيد الوقف عن ابن غازي ، مستبعدة ، لان مقام ابن غازي ـ في نظري ـ يجل عن الاخطاء الواقعة في تلك الوقوف ٠

ومنها : الحكاية المنسوبة للسنوسي مع الهبطي ، قصد بها تأييد الهبطي في وقوفه بطريق

الكرامة ، وهي غير صحيحة ، لوجوه :

الاول

أن الوقف علم من علوم القرآن الكريم ، له أصول وقواعد ، ما وافقها قبل ، وما لم يوافقها لم يقبل ، ولا دخل هنا للوح المحفوظ ٠

الثاني

أن علماء كثيرين من المتقدمين والمتأخرين ، ألفوا في علم الوقف كتبا كثيرة ، بينوا فيها الوقف التام والناقص والممنوع ، وغير ذلك مع بيان دليله ، ولم يقل أحد منهم : أنه رأى ما كتبه في اللوح المحفوظ ٠

الثالث

ان تلك الحكاية ، ذكرت بأسلوبين مختلفين ، وذلك دليل على أنها مصنوعة ٠

الرابع

أن دعوى وجود الوقوف المخطئة في اللوح المحفوظ، دعوى خطيرة جدا ، لانها تقتضي وقوع الخطأ في اللوح الذي حفظه الله عنده ، وهذا كفر ممن اعتقده ، ويأتي سؤال ، وهو !

الخـــــامـــــس

كيف يقـر الله تعالـى في اللوح المحفوظ وقوفا ضعيفـة وفـــاســـــدة ؟ ! !

الحقيقــة : أن أنصــار الشــيــخ الهــبطــي ومحبيــه عجــزوا أن يؤيــدوا وقوفــه بدليــل علمــي ، فلجــأوا الـــى حكايــة اللوح المحفوظ ، وهي حكاية عجيبــة ، لم تخطـر على بــال أحــد من مخلوقات اللــه تعالــى ، وهي مثــل مــن زعــم أن قــراءة أهــل الجنــة بقراءة ورش ! !

والعجــب أكثــر ممــن يصــدق هــذه الخـرافات ، ويسجلها على أنهــا حقائــق ، تروى وتنقــل !! !

نســأل الله أن يلهمنــا رشــدنا ، ويرزقنــا الســداد في القــول ، والصلاح في العمــل ، ويهدينــا ســواء السبيــل ، وهــو حسبنــا ونعــم الوكيــل ، ولا حــول ولا قـــــوة الا باللـــــه العــلـي العــظـيـــم ٠

الحجة المبينة

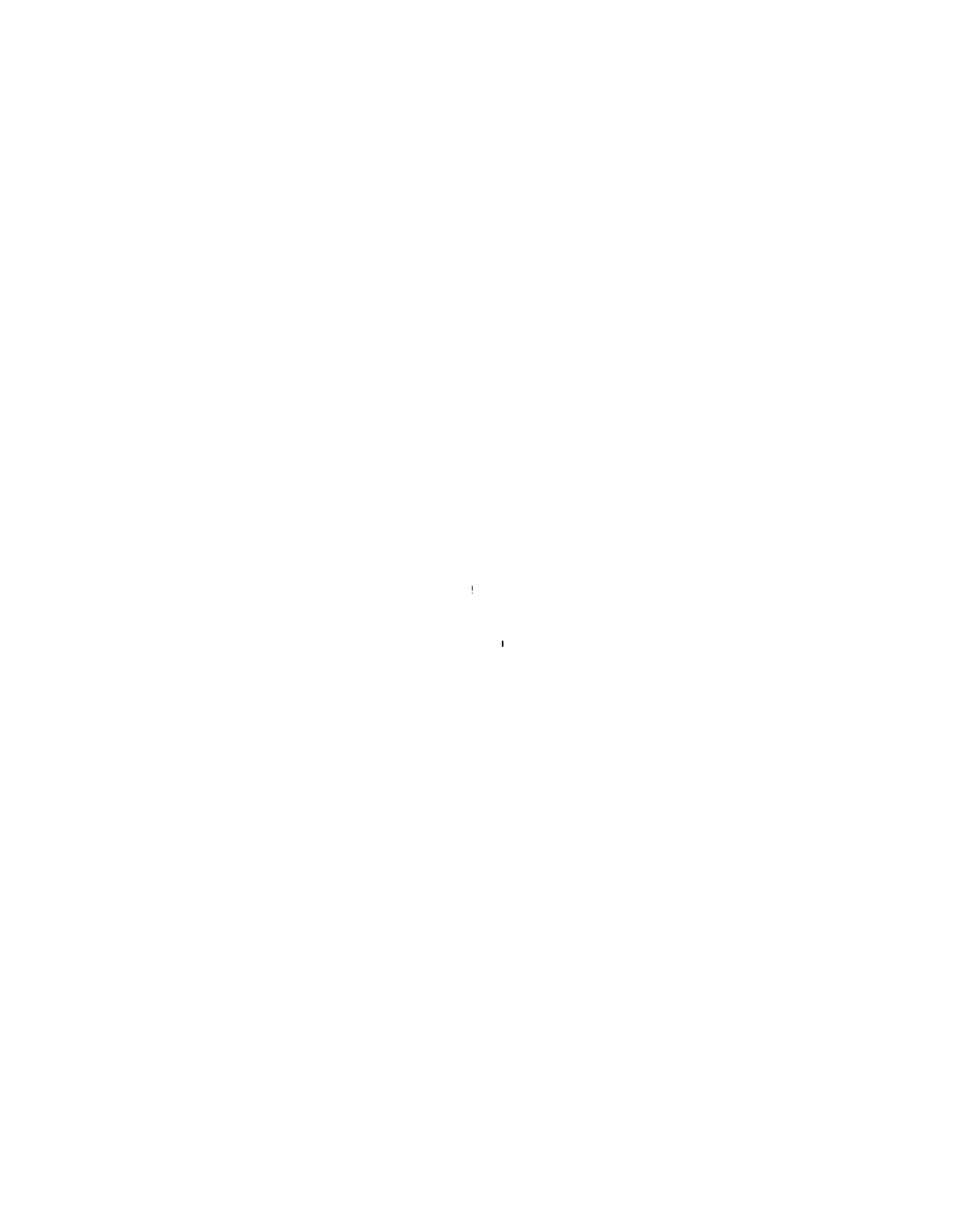
لصحة فهم عبارة المدونة



لأبي الفضل

عبد الله بن محمد بن الصديق





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا دائما بدوامه ، والشكر له على توالي انعامه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ، أما بعد فهذا جزء أكتبه في وضع اليمين على الشمال في الصلاة المكتوبة ، لا من جهة سنيته الثابتة بالتواتر من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وقوله ، ومن فعل الصحابة والتابعين ، لكن من جهة تبيين خطأ وقع في فهم رواية ابن القاسم ، في هذا الموضوع ، فأقول ، مستعينا بالله ، ومعتمدا في جميع أموري عليه : جاء في المدونة الكبرى ج ١ ص ٧٤ مانصه :

الاعتماد في الصلاة والاتكاء ووضع اليد على اليد ٠

قال : وسألت مالكا عن الرجل يصلي الى جنب حائط، فيتكىء على الحائط ؟ قال : أما في المكتوبة فلا يعجبني ، وأما في النافلة ، فلا أرى بذلك بأسا ٠

قال ابن القاسم : والعصا تكون في يده بمنزلة الحائط ، قال : وقال مالك : ان شاء اعتمد ، وان شاء لم يعتمد ، وكان لا يكره الاعتماد ، وقال في ذلك على قدر

ما يرتفق به ، فلينظر ما هو أرفق به فليصنعه ٠

قال : وقال مالك في وضع اليمنى على اليسرى في الفريضة ٠

قال : لا أعرف ذلك في الفريضة ، ولكن في النوافل اذا طال القيام ، فلا بأس بذلك يعين به على نفسه ٠

سحنون عن ابن وهب عن سفيان الثوري عن غير واحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا يده اليمنى على يده اليسرى في الصلاة ٠

هذه عبارة المدونة بتمامها ، لم ننقص منها حرفا، ومنها فهم المالكية كراهية وضع اليمين على الشمال في المكتوبة ، واختلفوا في سببها على أقوال ٠

حكاها صاحب المختصر ، في قوله : وهل يجوز القبض في النفل أو ان طول ، وهل كراهته في الفرض للاعتماد ، أو خيفة اعتقاد وجوبه ، أو اظهار خشوع ، تأويلات أهـ ٠

ولابد أن أحد متقدمي شراح المدونة ، فهم منها الكراهة ، ثم تبعه المتأخرون تقليدا من غير تمحيص ، ثم تعصبوا لارسال اليدين في الصلاة ، حتى زعم زاعم

منهم : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرسلها في صلاته ، وهو كذب يستوجب قائله لعنة الله وعذابه، وزعم آخر منهم : أن وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة، منسوخ ، وهذا أيضا كذب بحت ·

ولسنا بصدد تبيين سنية وضع اليمين على الشمال في الصلاة ، فقد سبق الى بيان ذلك كثيرون، منهم المسناوى ، والشيخ المكي بن عزوز ، وسيدي محمد بن جعفر الكتاني ، وشقيقنا أبو الفيض ·

وبلغني عن شيخنا بالاجازة الشيخ أبي شعيب الدكالي : أنه قال متحديا لمن يتعصب لا رسال اليدين: من وجد حديثا ولو ضعيفا يصرح بأن النبي صلى الله عليه وسلم صلى مرسلا يديه ، فلينقشه على رخامة ، وأنا أعطيه بوزنها نصبا ·

وهذا أشد ما يكون في التحدي ·

ما المراد بعبارة المدونة ؟

اذا أراد شخص أن يفهم كلاما نهما صحيحا موافقيا لغرض المتكلم به ، فلينظر الى دلالة السياق والسباق ·

مـــا هـــو السـيـــاق ؟

السيـاق بالمثناة التحتيـة ، هـو الموضوع الذي سيق الكـلام لاجلـه ، ودار البحـث فيـه ·

ومـا هـــو السـبـــاق ؟

السبـاق بالموحـدة ، هـو ما يسبـق الجملـة المـراد فهمهـا ، فبمراعـاة هاتين الدلالتين ، يظهـر مـراد المتكلـم، ظهـورا بينـا ، وتصـح نسبتـه اليـه نسبـة صحيحـة ·

وأكثـر الخطـأ في فهـم كلام الفقهـاء ، سببـه عـدم الالتـزام بما ذكرناه ، لغفلـة أو ذهـول ·

واذا تأملنـا عبـارة المدونة ، مـع ملاحظـة السيـاق، وجـدناها معنونـة بعنـوان : الاعتمـاد في الصلاة والاتكاء ووضع اليد على اليـد ·

فهـذا موضـوع بحثهـا ، وجـرى الكـلام فيها عـن المصلـي يتكـئ على حـائـط ، وعن العصا تكون في يـده أنهـا بمنزلـة الحـائـط ، وعـن الاعتماد في الصلاة عمومـا وقـول مالـك : «**ان شـاء اعتمـد وان شـاء لـم يعتمـد ، الـــخ كـلامـه** ·

ثم قال : وقال مالـك في وضع اليمنـى علـى اليسرى في الفريـضـة : «**لا أعـرف ذلـك في الفريضـة** » ·

فهم منه بعض شراح المدونة كراهية وضع اليمنى على اليسرى في المكتوبة ، وهذا باطل لوجهين :-

أحدهما : أن سياق الكلام وموضوع البحث الاعتماد والاتكاء في الصلاة ، فادخال حكم الكراهة هنا يأباه السياق ، ولا يقبله ، اذ يصير تقدير الكلام على هذا الفهم الباطل : وقال مالك : ان شاء اعتمد وان شاء لم يعتمد ، وكان لا يكره الاعتماد ، وقال في ذلك على قدر ما يرتفق به ، فلينظر ما هو أرفق به فليصنعه، وقال مالك في وضع اليمنى على اليسرى في الفريضة قال لا أعرف ذلك الوضع في الفريضة من سننها فهو مكروه .

والكلام على هذا التقدير ، يكون في غاية الركاكة ، لانه لا رابط يربط بين الاعتماد في الصلاة ، وبين الحكم على القبض بالكراهة .

والآخر : أن مالكا يعرف القبض مشروعا في الصلاة ، وروى فيه حديثين في الموطأ ، فكيف يقول هنا: لا أعرفه ؟ هذا تهافت لا يليق بمقام مالك ، ولا يصح أن يفهم من كلامه أو ينسب اليه .

ما أراده مالك

اذن فالمعنى الذي أراده مالك بقوله : لا أعرف ذلك في الفريضة ، أي لا أعرف الاعتماد على القبض في الفريضة . لانه يفعل استنانا فيكره قصد الاعتماد معه أيضا ، يؤيد هذا قوله : ولكن في النوافل اذا طال القيام فلا بأس بذلك أي بقصد الاعتماد يعين به على نفسه، لان النوافل يتوسع فيها .

لم يقصد مالك الا هذا بدلالة السياق التي هي أساس في فهم أي كلام ، وعلى هذا لا يجوز أن ينسب الى مالك كراهة القبض في الفريضة اعتمادا على هذه العبارة التي فهمت على غير ما قصد بها ، يؤيد ما قلناه : أن سحنونا ختم الترجمة بما رواه عن ابن وهب عن سفيان الثوري عن غير واحد من الصحابة أنهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم واضعا يده اليمنى على اليسرى في الصلاة ، ليبين أن الامام مالكا قصد الاعتماد ، لا وضع اليمين على الشمال .

ثم نعود الى شرح عبارة المختصر على ضوء ما بيناه: فقوله : (**وهل كراهته في الفرض**) ان كانت الكراهة مأخوذة من عبارة المدونة التي نقلناها ، فهي غير صحيحة

ومالك لم يقل بالكراهة تصريحا ولا كناية ، وانما أشار الى كراهة الاعتماد بالقبض في الفريضة **(للاعتماد)** هذا عكس ما أراد مالك كما بينا **(أو خيفة اعتقاد وجوبه)** وهذا باطل ، لانه يؤدي الى كراهة جميع المندوبات ، ولان رفع اليدين عند تكبيرة الاحرام مندوب ولم يقل أحد بوجوبه ، ولان المضر اعتقاد واجب ، ليس واجبا ، لا اعتقاد ما ليس بواجب واجبا **(أو اظهار خشوع)** وهو باطل كسابقه لانهما تعديل على الشارع ، وهو غير جائز ·

وظهر بهذا أن القول بكراهة القبض في الفرض وجوازه في النفل ، نسب الى مالك رحمه الله وهو برىء منه براءة الذئب من ابن يعقوب ، وبهذه المناسبة أقول: مذهب مالك يحتاج الى تنقيح وتحرير ، لان كثيرا من مسائله ينبني على خلاف الدليل ، أو خلاف قواعد الاصول ، أو خطأ في فهم كلام الامام . كمسألتنا هذه ، والسبب في ذلك : أن المالكية وخصوصا منهم المغاربة ، ليس عندهم روح البحث والتمحيص ، بل يجمدون على قول الامام أو ابن القاسم وأضرابه من كبار المذاهب ، ولا يعنيهم أن يكون ذلك القول الذي جمدوا عليه مخالفا للقواعد ، أو الدليل ·

وان بحث بعضهم في قول من تلك الاقوال على سبيل الندرة ، فانه يعقب بحثه بقوله : هذا مجرد بحث ، والفقه مسلم ، فلم يصنع شيئا .

وهذا بخلاف الشافعية والحنفية ، فانهم يبحثون ويمحصون ، ويناقشون أئمة مذهبهم ، ويردون كثيرا منها ، لمخالفته الدليل ، أو القواعد ، ولقد قال لي بعض الازهريين مرة ، العلم عند الشافعية والحنفية ، أما المالكية فهم دراويش ، يعني أنهم يتلقون قول من سبقهم من أهل المذهب ، بدون مناقشة ، كأنه آية أو حديث .

وأقرب دليل على هذا أمران :

أحدهما : مسألة عبارة المدونة التي بينا معناها الصحيح ، فان بعض شراح المدونة ، فهم منها كراهة القبض في الفريضة ، دون النافلة ، فقلدوا هذا الفهم المخطيء ، ولم يبحثوا فيه هل هو صحيح ؟

والامر الآخر : ان الشيخ الهبطي رحمه الله ، عمل وقفا للقرآن حسب فهمه ، ولم يرجع فيها الى قواعد اللغة العربية ، ولا الى علم القراءات ، ولا كتب التفسير ، فجاء كثير منها قبيحا يفسد معنى الآية ، أو يفرق

بين الفعل وما يتعلق به ، أو بين المبتدأ والخبر ، أو بين العلة والمعلول ، أو نحو ذلك ، واستمر المغاربة عليها، من وقته الى الآن ، لم يفكر أحد منهم في اصلاحها ، حتى اعتقد العامة ، أن القرآن أنزل بهذه الوقوف ، وقد ذاكرت بعض أهل العلم بهذا فوافق على كلامي ، وذكر بعض الوقوف القبيحة التي استحضرها في تلك الساعة ٠

ثم كتبت مقالا في مجلة دعوة الحق ، ذكرت فيه نماذج من تلك الوقوف الهبطية ، واقترحت على وزارة الاوقاف أنتخصص جماعة من العلماء العارفين بقواعد اللغة ، والقراءات والتفسير ، لاصلاح القبيح من تلك الوقوف بتغييرها بالصحيح الجيد ، فكان اقتراحي صيحة في واد ، ثم طلبت من صاحب مطبعة ، أن يقوم بطبع مصحف عملت له وقوفا صحيحة ، فوافق ، لكنه اعتذر بأن المغاربة لا يأخذونه ، بل يرفضونه ويعتبرونه مخالفا لما اعتادوه ، وان كان خطأ ٠

واعتذاره صحيح ، فان المغاربة يجمدون على ما ألفوه حسنا كان أو قبيحا ، ولهم قاعدة يوجهون بها جمودهم ، فيقولون : خطأ مشهور خير من صواب مهجور، وانفردوا بهذه القولة عن بقية المسلمين وغيرهم ٠

فلا أحد في الدنيا يتمسك بالخطأ ، لانه مشهور ، ويترك الصواب لانه مهجور ، فاللهم غفرانك لهذه الكلمة القبيحة ، ووفقنا لمعرفة الصواب ، والتمسك به ، ولا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ، وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ٠

انتهى



الفهرس

فهرس كتاب - الحجة المبينة

الموضوع **الصفحة**

بسم الله الرحمن الرحيم

تتميما للفائدة ، ننشر ما أورده الحافظ العلامة الامام ابن جزي المالكي في تفسيره القيم المسمى بكتاب التسهيل لعلوم التنزيل في الباب التاسع من المقدمة ، قال ما نصه :

« الباب التاسع في الوقف ، وهي أربعة أنواع :

وقف تام ، وحسن ، وكاف ، وقبيح ، وذلك بالنظر الى الاعراب ، والمعنى فان كان الكلام مفتقرا الى ما بعده في اعرابه أو معناه ، وما بعده مفتقر اليه كذلك : لم يجز اليه الفصل بين كل معمول وعامله ، وبين كل ذي خبر وخبره ، وبين كل ذي جواب وجوابه ، وبين كل ذي موصول وصلته ، وان كان الكلام الاول مستقلا يفهم دون الثاني ، الا أن الثاني غير مستقل الا بما قبله ، فالوقف على الاول كاف ، وذلك في التوابع والفضلات : كالحال ، والتمييز ، والاستثناء ، وشبه ذلك ، الا أن وصل المستثنى المتصل آكد من المنقطع ووصل التوابع والحال اذا كانت أسماء مع ذات آكد من وصلها إذا كانت جملة ،

وان كان الكلام مستقلا والثاني كذلك ، فان كانا في قصة واحدة فالوقف على الاول حسن ، وان كانا في قصتين مختلفتين فالوقف تام ، وقد يختلف الوقف باختلاف الاعراب أو المعنى ، وكذلك اختلف الناس في كثير من أقوالهم فيها : راجح ، ومرجوح ، وباطل ، وقد يقف لبيان المراد وان لم يتم الكلام .

(تنبيه)هذا الذي ذكرنا من رعى الاعراب والمعنى في المواقف : استقر عليه العمل ، وأخذ به شيوخ المقرئين ، وكان الاوائل يراعون رؤوس الآيات فيقفون عندها لانها في القرآن كالفقر في النثر والقوافي في الشعر ، ويؤكد ذلك ما أخرجه الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع قراءته يقول : الحمد لله رب العالمين ثم يقف ، الرحمن الرحيم ثم يقف » .

انتهى